البديل

حرية
عدالة
مواطنة

إسبوعية - سياسية - مستقلة

العدد (١٠٣) ٢٠١٣/٨/٢٥ م | www.al-badeel.org | Issue (103) 25/8/2013

واشنطن تحرّك الخيار العسكري..واجتماع لقادة جيوش غربية

«حلبجة» في الغوطة..والأسد يختبئ وراء الصمت الدولي

البديل :

ارتكبت القوات الموالية لبشار الأسد اكبر مذبحة بالسلاح الكيماوي منذ مأساة حلبجة عام ١٩٨٨، حيث قصف بصواريخ محملة بغاز السارين منطقتي الغوطة الشرقية والغربية في ريف دمشق مما أسفر عن عن استشهاد نحو ألفي شخص، معظمهم أطفال ونساء، سقط في الساعات الأولى ١٣٠٠ شهيد، ثم ارتفع العدد بسبب وفاة مئات المصابين.

ورغم الرودود الخجولة على هذه المحرقة، إلا أن الحدث أحرج إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما، وقلص من مساحة المناورة السياسية التي كان يعتمدها للتهرب من المسؤولية الدولية، حيث عززت الولايات المتحدة من وجودها العسكري في البحر المتوسط بمدمّرة تحمل صواريخ «كروز» لتنضم إلى ثلاث مدمرات موجودة هناك، تأهباً لأي عمل عسكري قد يقرره أوباما ضد النظام.

وأكد مسؤول عسكري أميركي أن الأسطول الأميركي السادس المسؤول عن منطقة البحر المتوسط قرر ترك المدمرة «يو.اس.اسماهان» في مياه المتوسط، في حين أنه كان يفترض بها أن تعود إلى مرفئها نورفولك على الساحل الشرقي للولايات المتحدة. وأشار وزير الدفاع الأميركي تشاك هاغل الى أن واشنطن «تضع القوات البحرية في أوضاع مناسبة» تحسباً لأي قراريتخذه الرئيس باراك أوباما بالقيام بعمل عسكري في سوريا. وقال إن أوباما طلب من«البنتاغون» الخيارات المتاحة. وعقد اوباما اجتماعاً مع فريقه الأمني لبحث كيفية الرد. وقال مسؤول عسكري إنه تم وضع لائحة الأهداف المحتملة لعمليات قصف جوي، وكذلك إعداد احتمالات استخدام صواريخ "كروز" بما يتيح عدم استخدام طائرات مقاتلة وعلى متنها طيارو سلاح الجو.

ويعقد في الأردن خلال الأيام القليلة المقبلة اجتماع لرؤساء هيئات الأركان لدول غربية لبحث أمن المنطقة والخيارات العسكرية في سوريا.

وفيما أعلن وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس أن كل المعلومات تدل على أن «نظام بشار الأسد» ارتكب «مجزرة كيميائية»، قال الرئيس الإيراني حسن روحاني إن أسلحة كيماوية قتلت أناساً في سوريا، ودعا المجتمع الدولي إلى منع استخدامها. ولم يحدد روحاني الطرف الذي يعتقد أنه استخدم تلك الأسلحة، في موقف متايز عن وزارة الخارجية الإيرانية التي زعمت كعادها أن المعارضة هي التي استخدمت الكيماوي.

رأي البديل-كذبة الخطوط الحمراء

ليس هناك من خطوط حمراء أمام نظام الأسد، وبإمكانه أن يتجاوزها جميعاً، وهو يثبت بالدليل القاطع، ومجزرة إثر أخرى، أنه غير مهتم بأي خط أحمر، مهما كانت الجهة التي أعلنته، وإن كانت أمريكا بعظمتها وجلالة قدرها، وعلى لسان رئيسها تحديداً، وليس على لسان وزير خارجيتها، أو الناطق الرسمي للبيت الأبيض، أو وزير دفاع.

استهداف المدنيين في الغوطة الشرقية بالكيماوي من قبل النظام، وفي الوقت الذي تقيم فيه بعثة التحقيق الدولية –الخاصة بالحالات التي استخدم فيها الكيماوي– في دمشق، إنما يدل على نوع من الطمأنينة لدى النظام إلى أنه ناج بفعلته، وهو يقول بشكل واضح للمجتمع الدَولي إنه غير معني بأي لجنة تحقيق دولية، وأن ما سيصدر عن البعثة لن يقدم أو يأخر، وأنه ماض في إبادة السوريين، ولن يتوانى عن استخدام ما يعتبره المجتمع الدولي محرماً، فالمحرم الوحيد في وجهة نظره، وسياسته، هو حصول السوريين على حقهم بالحرية والكرامة.

المجتمع الدولي حاول مؤخراً أن يداري عجزه في الملف السوري فراح يحول الانتباه عن مجازر النظام إلى مسألة الإرهابيين والجهاديين والمتشددين، فطالما أن المجتمع الدولي، وفي مقدمته أمريكا، قد اتخذ قراراً بعدم التدخل في المسألة السورية، فإنه لا مناص عن تحويل الانتباه عن القضية المركزية للسوريين.

وقد عمدت الصحافة الغربية في الآونة الأخيرة إلى قراءة الوضع السوري من بوابة خطر المجموعات الجهادية، وازدياد عددها، وضرورة التركيز على دعم الكتائب المعتدلة في الجيش الحر من أجل ضمان مستقبل سوريا، وكل هذا التركيز على الجهاديين صبّ بشكل أو بآخر في مصلحة النظام.

النظام السوري يتصرف وكأنه يمتلك هذه المرة الضوء الأخضر لإنهاء معارك ريف دمشق بالطريقة التي يراها مناسبة، وإن كان الثمن إبادة جماعية للمدنيين، وذلك لوضع المعارضة السورية أمام قبول تنازلات سياسية كبيرة، ففي ظل انعدام إرادة غربية واضحة للانزلاق في سوريا فإن النظام يرى في ذلك فرصة سانحة للقيام بضربات موجعة للمعارضة المسلحة وللبيئة الحاضنة لها، وهذا ما يجعله يتصرف كما تصرف في الغوطة من أي رادع، أو اعتبار لأي خط أحمر.

إذاً، لا خطوط حمراء أمام النظام، وإنما على العكس من ذلك، هناك تفويض باستخدام أقصى ما يمكن من القوة والتدمير والإبادة.

مشاهد مروعة بثها الناشطون تفضح هول المجزرة

الغوطتان تحت قصف كيماوي النظام والمجتمع الدولي يكتفي بالتنديد

■ وكالات- البديل:

ارتكبت قوات الأسد مجزرة مروعة بحق المدنيين في الغوطتين الشرقية والغربية في ريف دمشق صباح يوم الأربعاء الماضي، وتباينت الأرقام حول عدد ضحايا المجزرة التي استخدم فيها النظام السلاح الكيماوي المحرم دولياً، وقد تجاوزت أرقام الضحايا 1300 مواطناً، ومنهم عدد كبير من الأطفال، خاصة أن قدرة الجهاز المناعي للأطفال أقل قدرة من مثيله عند الكبار في تحمل المواد الكيماوية، وهو الأمر الذي عزا إليه أطباء ميدانيين سبب الأعداد الكبيرة من الأطفال الذين سقطوا جراء هذه المجزرة.

واتهم ناشطون القوات النظامية باستخدام السلاح الكيميائي في الغوطة، ما أدى إلى سقوط عشرات القتلى ومئات الجرحى، ونشروا أشرطة على مواقع التواصل الاجتماعي اتهموا فيها الجيش النظامي باستخدام الغازات السامة في الغوطة الشرقية، لا سيما في بلدة كفربطنا، وقصف مناطق في الغوطة الشرقية والغربية، ونقل المرصد السوري لحقوق الإنسان عن نشطاء أن «لقوات النظامية استخدمت الغازات السامة» .

وقدرت الهيئة العامة للثورة السورية ولجان التنسيق المحلية بشكل أولي عدد القتلى نتيجة القصف بالغازات السامة والأسلحة الكيميائية بالمئات . وقال نشطاء إن صواريخ تحمل مواد كيماوية أصابت ضواحي عين ترما وزملكا وجوبر في الغوطة قبيل الفجر، وقالت الممرضة بيان بكر التي تعمل بوحدة طوارئ في دوما إن عدد القتلى الذي حصرته مراكز طبية في المنطقة بلغ 213 قتيلاً، وأضافت «الكثير من الضحايا من النساء والأطفال، وصلوا وبؤبؤ العين متسع وبأطراف باردة ورغاوى تخرج من أفواههم، يقول الأطباء إن هذه أعراض تظهر على ضحايا غاز الأعصاب» . وقالت اللجان المحلية في بيان إن حصيلة القصف بالمواد الكيماوية على مدن وبلدات الغوطة الشرقية ارتفعت إلى 1360 بينهم عشرات الاطفال والسيدات، ولفتت إلى أن هناك مئات الإصابات، وسط توقعات بتزايد أعداد القتلى جراء النقص في الكوادر الطبية والادوية .

ونشرت على الانترنت تسجيلات فيديو وصور لضحايا الهجوم، وأظهر فيديو صور في حي كفر بطنا غرفة مليئة بأكثر من 90 جثة كثير منهم من الأطفال وبعض النساء وكبار السن، ومعظم الجثث بدت شاحبة من دون إصابات واضحة، وأظهرت تغطية أخرى أطباء يعالجون أشخاصاً في مراكز طبية مؤقتة، وأظهر تسجيل آخر جثث نحو 10 أشخاص مسجاة على الأرض في مركز طبي، وقال شخص كان يعلق على الفيديو، كلهم من أفراد أسرة واحدة، وفي ردهة بالخارج كانت هناك 5 جثث، وأظهرت صورة التقطها نشطاء في دوما جثث 19 شخصاً بينهم 16 طفلاً وشخص يرتدي زياً قتالياً وهي مسجاة على الأرض في غرفة بمنشأة طبية نقلت إليها الجثث .

وبث ناشطون أشرطة فيديو على موقع «يوتيوب» حول القصف يظهر في أحدها أطفال يتم إسعافهم عبر وضع أقنعة أكسجين على وجوههم وهم يتنفسون بصعوبة، بينما أطفال آخرون يبدون مغمى عليهم، ويعمل مسعفون أو أطباء على رش الماء عليهم بعد نزع ملابسهم وتمسيد وجوههم وصدورهم، وفي شريط آخر، يصرخ المصور «إبادة مدينة معضمية الشام بالسلاح الكيميائي» . ودعا المرصد لجنة التحقيق في استخدام الأسلحة الكيميائية إلى «زيارة المناطق المنكوبة والعمل على ضمان وصول المساعدات الطبية والإغاثية في أسرع وقت ممكن»، والتحقيق في ما ينقله الناشطون عن استخدام السلاح الكيميائي، وتوجهت لجان التنسيق «بنداء عاجل إلى المنظمات الدولية الإنسانية والمجتمع الدولي للتحرك العاجل من أجل إنقاذ المدنيين» .

وقال خالد عمر أحد أعضاء مجلس المعارضة المحلي في عين ترما إنه رأى 80 جثة على الأقل في أحد المستشفيات وفي مدرسة في حي سقبا تقدم فيها الإسعافات الأولية، وأضاف «وقع الهجوم حوالي الساعة الثالثة صباحاً، معظم القتلى كانوا في منازلهم» . وقال مكتب دمشق الإعلامي إن 494 شخصاً قتلوا في هجوم بالغاز وقصف شنته القوات النظامية، مستشهدة ببيانات صادرة عن مراكز طبية في العاصمة، وإنه جرى إحصاء 150 جثة في حمورية و100 في كفر بطنا و67 في سقبا و61 في دوما و76 في المعضمية و40 في عربين، وأضاف أن عدداً كبيراً من المدنيين تعرضوا لغازات، وأن الأعداد استمرت في التزايد نتيجة نقص الإمدادات الطبية .

الطيران الحربي نفّذ سبع غارات جوية على مناطق في معضمية الشام ترافقت مع قصف عنيف على المعضمية ومدينة عربين

اتهم الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، أمس، المجتمع الدولي ب»المشاركة مع النظام في قتل الشعب السوري بسبب صمته وعجزه»، مشيراً إلى مقتل أكثر من 1300 شخص في «هجوم كيميائي» اتهم القوات النظامية بتنفيذه في ريف دمشق .

وقال مدير المرصد رامي عبد الرحمن «بعد منتصف الليل، بدأت قوات النظام تصعيداً عسكرياً واسعاً في منطقتي الغوطة الشرقية والغوطة الغربية، تستخدم فيه الطيران وراجمات الصواريخ، ما أوقع عشرات القتلى والجرحى»، وأشار إلى أن الحملة تتركز على معضمية الشام، مضيفاً أنه «القصف الأعنف الذي تتعرض له البلدة منذ بدء الحملات العسكرية للنظام» الذي يحاول السيطرة على المعضمية .

وذكر المرصد أن «الطيران الحربي نفّذ سبع غارات جوية على مناطق في معضمية الشام، ترافقت مع قصف عنيف على المعضمية ومدينة عربين، وسط اشتباكات على أطراف المعضمية وداريا»، وأشار إلى قصف على مناطق في داريا وزملكا وسقبا وبلدات جسرين والمليحة وبيت جن بقذائف الهاون وراجمات الصواريخ، وإلى غارات على كفربطنا وعين ترما .

هذا وقد أصدرت معظم الهيئات السياسية السورية المعارضة بيانات تنديد بالمجزرة، ومطالبة لجنة التحقيق الدولية الموجودة في دمشق لزيارة المناطق التي قصفها النظام بالأسلحة الكيميائية.

أما مجلس الامن الدولي فقد اكتفى خلال اجتماع طارئ مساء الأربعاء الماضي بإبداء عزمه على «كشف الحقيقة» حول هذا الهجوم بدون اصدار اعلان رسمي بسبب معارضة روسيا والصين بحسب ما اوضح دبلوماسيون.

خمسة أسباب وراء تردد إدارة أوباما حتى بعد استخدام الأسلحة الكيميائية

ماكس فيشر - ترجمة البديل:

إذا استثنينا اعتراف إدارة أوباما الرسمية في حزيران الماضي عن استخدام السلاح الكيماوي في سوريا، والإعلان عن شحنة من بعض الأسلحة الصغيرة للكتائب المعارضة، فإنه باستثناء ذلك لم تظهر الولايات المتحدة قدرا كبيرا من الاستجابة لأخطار الأسلحة الكيمائية السورية. وتبين فيما بعد أنه حتى شحنة الأسلحة الأمريكية قد إقرارها في وقت سابق، أي قبل اعتراف أوباما باستخدام الأسلحة الكيميائية بأسابيع.

يبدو أن هذا الاتجاه لا يزال مستمراً اليوم، وحتى مع التقارير المرعبة عن هجوم بالأسلحة الكيميائية في دمشق، والتي حتى الآن لم تحظَ برد فعل أكثر بكثير من مجرد بيان يعبر عن القلق من البيت الأبيض، وطلب عقد اجتماع لمجلس الأمن الدولي، وهو ما يعد إلى حد كبير استجابات رمزية.

لماذا لم تقم إدارة أوباما بأي تحرك نشط رداً على قرع طبول استخدام الأسلحة الكيميائية ؟ إن هذا التحرك يبدو صعباً خاصة مع تعقيدات النقاش الداخلي في البيت الأبيض، على الر غم مما قاله أوباما في وقت سابق : "لقد كنا واضحين جداً تجاه نظام الأسد، ولكن أيضاً يوجد لاعبين آخرين على الأرض، وهذا خط أحمر بالنسبة لنا، هو أن نبدأ رؤية مجموعة كاملة من الأسلحة الكيميائية تتحرك أو يجري استخدامها. ومن شأن ذلك أن يغير حساب التفاضل والتكامل في بلدي ".

وأستطيع أن أحدد خمسة أسباب تكمن وراء ما يعتبره البعض تردداً في الموقف الأمريكي، أو الاستجابة الفاترة، حيث لم تقدم أمريكا سوى شحنة صغيرة من الأسلحة للمعارضة، وبعض الضغط في مجلس الأمن، حيث لا توجد فرص لاستصدار أي قرار أممي.

1. السياسة الداخلية: مخاطر عالية ومكافأة منخفضة

إنها شهادة محزنة على طريقة صياغة السياسة الخارجية، حيث لا يوجد سوى القليل أمام السياسة الخارجية للولايات المتحدة لتفعله تجاه الأزمة السورية، ففي الحقيقة لن تتمكن الإدارة الأمريكية من مساعدة المدنيين وحمايتهم من خطر استخدام الأسلحة الكيميائية، وهذه الإدارة تهتم أولاً، وقبل كل شيء بالسياسة المحلية، وقد عوقبت الإدارة بسبب طريقة قيادتها في ليبيا، فبعد أن كان التدخل في ليبيا نجاحاً في نظر الكثيرين لهذه الإدارة أصبح مع صعود التطرف في ليبيا إلى نوع من المسؤولية الكبيرة، والتي تقارب الإخفاق.

كما تتلقى الإدارة الكثير من الانتقادات نتيجة وصول الإسلاميين في مصر وتونس، فالكثير من السياسيين الأمريكيين يعتبرون هذا نوعاً من التهديد لأمريكا، وهم يقفون بالمرصاد لإدارة أوباما إذا ما ذهبت باتجاه خاطئ في الملف السوري.

2. أوباما يريد تسوية تفاوضية في سوريا

مقابلة الرئيس أوباما مع تشارلي روز في شهر حزيران الماضي، فضلا عن التصريحات التي صدرت مؤخراً عن الإدارة للصحافة، أوضحت أن

لماذا لم تقم إدارة أوباما بأي تحرك نشط رداً على قرع طبول استخدام الأسلحة الكيميائية ؟

الإدارة لا تسعى للإطاحة بشكل قاطع بنظام بشار الأسد. هذا يرجع جزئيا إلى أن الولايات المتحدة تشعر بالقلق من سوريا أو الفوضى التي يمكن أن تحدثها الجهات المتطرفة ، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن الإدارة تريد الاستقرار أولاً وقبل كل شيء. وهذا يعني السعي لاتفاق سلام بين المعارضة والنظام ، بحيث يبقى بعض أركان النظام وعناصر من المعارضة، ولكن ليس الأسد نفسه.

تقارير الأسلحة الكيميائية تجعل تحقق هذه الاستراتيجية أكثر صعوبة، خاصة أن الإدارة الأمريكية ترغب في إبقاء بعض عناصر النظام، وإيجاد صفقة مع الدول الراغبة في رؤية النظام يذهب، مثل تركيا وقطر.

3. أوباما يريد الاستقرار وليس التصعيد

إن التدابير التي اتخذتها الولايات المتحدة تجاه سوريا تظهر أن الهدف هو الحفاظ على نوع من التوازن بين المعارضة ونظام الأسد، وهو ما يكفي للحيلولة دون فوز الأسد بشكل قاطع، لكنه لا يكفي لترجيح كفة الميزان. بوضوح فإن مخاوف البيت الأبيض تتمثل في الخوف من الفوضى التي يمكن أن تحدث بعد سقوط الأسد، وتحول سوريا إلى دولة فاشلة، فأوباما وإن كان لا يتعاطف مع الأسد إلا أنه لا يتعاطف أيضاً مع المعارضة الراديكالية، وهو ما يدفعه للإحجام عن الدعم الجدي فيما يتعلق بتسليح القوى المعارضة.

على الرغم من تصريحات سابقة لأوباما حول اعتبار استخدام الأسلحة الكيميائية السورية "خط أحمر" غير أن أوباما في النهاية لا يعتقد بأن دعم المعارضة فكرة سديدة، وهنا يمارس المناورة التي يمكن فهمها باتجاهين التقاعس أو ضبط النفس.

4- لا للتورط

لا تريد الإدارة الأمريكية التورط في سوريا، واستخدام مصطلح الخط الأحمر الذي تمّ تجاوزه فعلياً من خلال التقارير الواردة من سوريا، هو خط أحمر يعبر عما تراه الإدارة نوعاً من المحرمات الدولية، لكن من دون أن يعني هذا التورط في دعم الأطراف المعارضة، وبهذا تتمسك بفكرة رفض استخدام الأسلحة الكيميائية لكن من دون فرض نفسها كطرف في الموضوع السوري.

5- لا تريد أن تلتزم بدعم المعارضة

المتطرفون يشكلون حصة متزايدة من حركة التمرد السوري، وبعض من الحلفاء الأبرز للولايات المتحدة هم صراحة مع تنظيم القاعدة. شهدت الولايات المتحدة هذا الفيلم من قبل، في أفغانستان في 1980، عندما دعمت الجماعات المسلحة المتطرفة ضد قوات الغزو السوفياتي. ومقابل ذلك دفعت الولايات المتحدة ثمناً كبيراً على المدى الطويل، لذلك فمن المفهوم إذاً لماذا واشنطن مترددة في إرسال الأسلحة والمال أو حتى الدعم الخطابي لحركة التمرد.

مخيم اليرموك على أعتاب مجزرة كبيرة

غازي دحمان

يتحضر مخيم اليرموك لمجزرة جديدة تجهز لها كتائب بشار الأسد، بعد أن تم استهداف المخيم بضربات مكثفة وبمختلف وسائل الدمار وأشكالها، في محاولة لإنهاك الثوار المتواجدين في ميدان المخيم، الذي يتعرض لحصار خانق منذ سبعة شهور متواصلة.

الجديد في الأمر، أن كتائب الأسد عمدت إلى وضع قوات فلسطينية مؤيدة لها في المقدمة، جماعة أحمد جبريل" القيادة العامة" وعناصر من جبهة النضال الفلسطينية وتنظيم الصاعقة وفتح الانتفاضة وكتائب من لواء حطين التابع لجيش التحرير الفلسطيني بقيادة اللواء طارق الخضرا، وقد جهزتها بعتاد عسكري كامل، كما زودتها بخبرات تفجير الأبنية لتسهيل اقتحام المخيم حارة بعد حارة. ويعتقد على نطاق واسع، أن هذه الخبرات جرى الاستعانة بها من عناصر حزب الله التي تشارك في التخطيط لاقتحام المخيم، ويقتصر دور كتائب الأسد على القصف المكثف من بعيد لتمهيد عملية الاقتحام.

وقد أطلق النظام السوري على العناصر الفلسطينية المشاركة في عملية الاقتحام اسم" اللجان الشعبية الفلسطينية"، في محاولة مكشوفة لتغطية جريمته، ولإيهام العالم أن فلسطينيي سورية يقفون معه في حربه ضد الشعب السوري، وأيضاً لتبرير جرائمه السابقة واللاحقة ولصقها بالفلسطينيين أنفسهم" فلسطيني يقتل فلسطيني"، وكذلك لتبرير حجم الدمار الكبير الذي أصاب عمران مخيم اللاجئين بعد سبعة شهور من القصف اليومي المتواصل وبمختلف أنواع الأسلحة.

وفي الواقع، يستبطن هذا الأمر تزويراً خطيراً للواقع، ذلك أن تركيبة هذه اللجان وبنيتها ليست فلسطينية خالصة، فالمعروف أن جبهة أحمد جبريل قد تعرضت لانقسام خطير كان من نتيجته انشقاق أغلب كوادرها، وانضمامهم للثوار السوريين، وذلك بعد تحرير المخيم من قوات الأسد" يوم 16- 12-2012، ولم يبقَ في إطار التنظيم سوى أعداد قليلة قام النظام بتجميعهم ووضعهم في خدمة حواجز النظام للإفشاء عن سكان المخيم وتسليمهم لأجهزة المخابرات، أما الكوادر الموجودة اليوم في إطار هذه اللجان فأغلبها تم ادخاله من عناصر سورية تابعة للنظام، وكانت قيادة المخابرات الجوية السورية قد أدرجت عناصر الجبهة الشعبية القيادة العامة ومن تبقى من عناصر جبهة النضال الشعبي في قيودها المالية والعسكرية وصارت تبعيتها لهذه الجهة مباشرة.

جغرافياً، يشكل المخيم بوابة دمشق الجنوبية، ويتصل بأحد أهم الأحياء الدمشقية، حي الميدان، الذي يتصل بدوره بقلب المدينة، وكان يسكنه، إضافة للمئة وخمسين ألف فلسطيني، حوالي مئتي ألف سوري من مختلف الأرياف السورية، وقد شكل المخيم خلال الأزمة السورية ملجأ لعشرات الألوف من السوريين الفارين من جحيم الموت ، وخاصة من حمص ودرعا وإدلب. وطوال هذه المدة سعت فصائل منظمة التحرير الفلسطينية إلى تحييد المخيم عما يجري بين الأطراف السورية، وكان هذا بمثابة قرار رسمي من السلطة الوطنية الفلسطينية، ورغم تعاطف الفلسطينيين مع معاناة إخوتهم السوريين الذين يكادون يندمجون معهم في نسيج اجتماعي صنعته عوامل المصاهرة والقرابة، إلا أنهم التزموا قرار قيادتهم رغم استهداف النظام الدائم للمخيم وقتله أكثر من ألف فلسطيني.

لاشك أن المخاطر اليوم على مخيم اليرموك كبيرة، إذ لازال حوالي خمسين ألفاً من أبنائه يسكنون فيه، وهم في الغالب من الفلسطينيين الذين لم يستطيعوا الخروج منه بسبب فقرهم الشديد وعدم قدرتهم على تأمين حياة خارج بيوتهم، والبعض رفض الخروج أصلاً كي لا تتكرر تجربة فلسطين في النزوح، وفضل البقاء داخل المخيم، كما يوجد في المخيم بعض كتائب الجيش الحر وكتائب إسلامية، وتعاني هذه القوات من نقص في المعدات والذخائر بسبب الحصار الخانق على المخيم، ونظراً لإهمال قيادة الجيش الحر والمجلس العسكري لهذه الكتائب، لكنها ورغم ذلك تقاتل بشراسة منقطعة النظير، وتتحصن تحصيناً جيداً داخل شوارع وأزقة المخيم، ولا يتوقع أن تستسلم بسهولة، وهو ما دفع النظام إلى استخدام غاز السارين مرتين للقضاء على الثوار ودحر مقاومتهم.

ويشعر فلسطينيو مخيم اليرموك أنهم تركوا لوحدهم في مواجهة كتائب الأسد والقوى الفلسطينية العميلة، حيث وبعد نداءات متكررة من سكان المخيم لقيادتهم في رام الله، لم تظهر هذه القيادة فعالية كبيرة في الاستجابة لتلك النداءات، والغريب أن تتزامن محاولة اقتحام المخيم مع وجود وفد فلسطيني من الداخل حضر لمناقشة وضع فلسطيني سورية عموماً والمخيم خصوصاً، وكانت السلطة الفلسطينية قد أرسلت العديد من الوفود لمتابعة وضع فلسطينيي سورية، لكن الأكيد أن شيئاً لم يتغير، ذلك أن النظام السوري تعامل بمنطق" إما معنا او ضدنا" وأعتبر أن الحياد الفلسطيني مؤشر سلبي، فالمطلوب والصحيح بالنسبة للنظام كان مشاركة الفلسطينيين في قمع الثورة، وذلك رداً على جميل استقبالهم في سورية، ألم يقل رأس النظام إن سورية ليست مجرد فندق للفلسطينيين!.

النظام يعتبر أن اقتحامه للمخيم وإعادة إخضاعه قضية رمزية ومعنوية مهمة بالنسبة له، وخاصة في ظل إخفاقه في اقتحام المناطق الشرقية للعاصمة" برزة والقابون"، والمناطق الغربية" داريا والزبداني"، فإنه يحلم بتحقيق انتصارات في دمشق الجنوبية تعوضه هذا الإخفاق، وهو يراهن بهذا الأمر على ضعف تسليح الكتائب المتواجدة في هذه المناطق، حتى أن ثمة معلومات تفيد بأن الجيش الحر نفسه لا يبذل جهوداً كبيرة في الحفاظ على المخيم، وأنه يسهل للنظام أمر اقتحامه عبر عدم مده للكتائب المحاصرة بالسلاح والذخيرة، باعتبار أن الجيش الحر ليس له قواعد ارتكاز مهمة داخل المخيم، وأن غالبية عناصر المقاومة الموجود فيه وإن كانت تسمى بالجيش الحر إلا أنها لا تنضوي ضمن أطره كما أنها لا تخضع لأوامره أو تنسق معه، وهي عبارة عن خليط من كتائب إسلامية وبعض المنشقين عن الفصائل الفلسطينية، إضافة إلى متطوعين مدنيين مختلفي الانتماءات والتوجهات.

على العموم تشير التقديرات إلى ان مخيم اليرموك أمام معركة شرسة، تدلل على ذلك التجهيزات اللوجستية والعدة القتالية التي جلبها النظام لإنجاز عملية اقتحام المخيم، فالمتوقع أن تكمل هذه الآلة العسكرية تدمير ما تبقى من الهيكل العمراني للمخيم، وتهديد حياة أكثر من خمسين ألفاً من سكانه الباقين، في ظل إغلاق كل منافذ الخروج أمامهم، وحتى لو توفرت معابر لمرورهم، سيرفض هؤلاء الخروج نتيجة قناعة العائلات بأن أبنائهم مطلوبين لدى النظام، هذا إذا أضفنا لكل ذلك أن ما يسمى باللجان الشعبية هم في أغلبهم من الحاقدين على سكان المخيم، ويتوعدون باستباحتهم والتنكيل بهم، مما يعني أمام احتمال وقوع مجازر كبيرة قد تحصل في المخيم مالم يجري التحرك بسرعة من المجتمع الدولي.

صعوبات وعوائق كبيرة أمام سير عمل الإدارات المدنية

البديل - محمد إقبال بلو

بعد معارك دامت لأكثر من عامين بين كتائب وألوية الجيش السوري الحر وبين قوات النظام، أصبح أكثر من 70 بالمئة من الأراضي السورية ضمن المناطق المحررة التي تسيطر عليها قوات الحر والمعارضة وبعض الفصائل الإسلامية، هذا ما دفع الجميع باتجاه الاهتمام بالعمل المدني في تلك المناطق التي فقد النظام السيطرة عليها وزالت أجهزة ومؤسسات الدولة منها، فتم تأسيس المجالس المحلية والهيئات الشرعية والمنظمات الإغاثية ، كما تم تشكيل وحدات للدفاع المدني في بعض المناطق، ووحدات للشرطة المدنية أيضاً وتشكيل مجالس قضائية والعديد من المؤسسات الجديدة التي تتفاوت نسبة نجحها في إدارة المناطق المحررة تلك، وقد خلق النظام الكثير من العوامل المحبطة بينما رسخ بعض العوامل ألئك الذين يسمون بـ"متسلقي الثورة ومستغليها".

"البديل" أجرت بعض اللقاءات حول الصعوبات التي تعانيها الإدارات المدنية والأشخاص الذين يقومون على ذلك في المناطق التي أصبحت خارج سيطرة نظام بشار الأسد، فكانت اللقاءات التالية مع بعض المهتمين والقائمين على الأمور هذه.

هيثم جبر، مدير الدفاع المدني الحر في ريف حلب الشمالي قال لـ"البديل": إن مهمة الدفاع المدني من أهم الأعمال التي تتعلق بالإدارة المدنية على الإطلاق ، فنحن نقوم بشكل يومي بتتبع أخبار القصف او الحوادث الأخرى في ريف حلب الشمالي ونسارع إلى مساعدة المصابين وإخراجهم من تحت الأنقاض ، بينما نهتم بموضوع الحرائق الناتجة عن ذلك ولدينا وحدة متخصصة بالإطفاء استشهد عنصرين منها منذ فترة حيث خسرنا شهيدين وسيارة الإطفاء أيضاً عندما سقط صاروخ أسدي على السيارة أثناء إحدى المهام.

ويضيف: نعاني من قلة الدعم المادي فلا نستطيع تأمين مرتبات جيدة لهؤلاء الأبطال الذين يعرضون أنفسهم للخطر يومياً، ولا أحد يهتم بنا ، بل كل الأنظار تتطلع إلى الكتائب المسلحة ومن يرغب أن يقدم أي دعم سيقدمه لهذه الكتائب ، بينما نحن نتلقى دعماً بسيطاً من قبل بعض الألوية هنا ، كما نعاني من غزارة نيران قوات النظام ، فعندما نذهب للقيام بأية مهمة نتعرض غالباً للقصف مرة أخرى وهذه سياسة عصابات الأسد أن يعيدوا قصف المنطقة ذاتها بعد أن يعلموا أن هنالك تجمعات بشرية حول مكان الإصابة الأولى لأجل إنقاذ المصابين، كل ما نتمناه أن يكون لنا تمويل سواء من الائتلاف أو من المجالس المحلية حتى نستطيع الاستمرار بهذا الدور الهام.

عبد الفتاح العلي، أحد المواطنين في مدينة حلب، يحدث "البديل" قائلاً: تعمل العديد من الجهات على تنظيم الأمور في مدينة حلب والاهتمام بالجانب المدني الذي يخص المواطن العادي ، نعاني من تدخل الكتائب العسكرية وقادتها في الكثير من الأمور ، فمشكلة معبر بستان القصر بحد ذاتها أصبحت

قصة تروى في ظل الآراء المختلفة والمتضاربة حول فتح المعبر أو إغلاقه وحول السماح لأهالي المناطق التي يسيطر عليها النظام بالمرور وشراء ما يحتاجون وحول تحديد ما يسمح لهم بنقله عبر المعبر ، مشكلة كهذه شان مدني بحت ولا نرغب نحن كمواطنين أن يتدخل بها العسكريون ، فالعسكريون عملهم الأساسي على الجبهات وليس في الشوارع والأسواق .

يضيف عبد الفتاح: من الناحية الصحية والتعليمية يقوم البعض بجهود متميزة ومشكورة ويؤدون

مهمة الدفاع المدني من أهم الأعمال التي تتعلق بالإدارة المدنية على الإطلاق

الكثير من الخدمات للمواطن لكنهم يعجزون غالباً عن تلبية الحاجات الضرورية في هذين الصعيدين ، فالمدارس لم تجهز بشكل جيد ولا تتم العملية التعليمية كما ينبغي لكن النظام هنا يتحمل مسؤولية توقف تعليم أبنائنا ، فالقصف بشكل شبه مستمر يمنع أطفالنا من الذهاب للمدارس في معظم الأيام، بينما الخدمات الصحية تركز على مصابي المعارك وتهمل النواحي الصحية الأخرى والأمراض المزمنة التي يعاني منها الكثير من الأهالي وخاصة كبار السن.

الناشطة سعاد نوفل، تحدثت حول أوضاع مدينة الرقة بعد التحرير وعن أوضاع الإدارة المدنية في المحافظة وما تعانيه من إشكالات، فقالت لـ"البديل": بدأت بعض الفصائل المسلحة التي جاءت لإسقاط النظام بارتكاب أخطاء لم نرض عنها، الدوائر الرسمية سرقت بكل ما فيها وأغلقت واتخذتها الكتائب كمقرات لها، واستمر تجويع المواطن، فغلاء ونقص الطحين وتوقف الرواتب والكثير من الأمور زادت معاناة المواطن، بالإضافة إلى هيمنة تلك الكتائب والألوية العسكرية على الهيئة الشرعية التي أصلاً لم تكن أفضل حالاً منهم.

تطورت الأمور إلى اعتقالات وعمليات خطف وجلد وسيطرة على المدينة، واقتتال مستمر بين الكتائب في الأحياء السكنية المأهولة وبين بيوت المدنيين مما يؤدي غالباً إلى سقوط عدد من الشهداء والجرحى من المدنيين. اعتصمنا سابقا وتظاهرنا أمام مقر أحرار الشام بسبب اعتقالات لناشطين وجلدهم، وكذلك تظاهرنا قبلها أمام مقر الهيئة الشرعية بسبب جلد الناشطة (رمال) لبيعها فناجين مرسوم عليها علم الثورة والقصة منشورة على صفحتها في الفيسبوك.

من إدلب يحدثنا أحد مقاتلي الجيش الحر واسمه أبو مصطفى عن الأوضاع في ريف إدلب فيقول لـ"البديل": بكل صراحة لقد تخلصنا هنا من بشار الأسد ليأتينا ألف بشار يريد التحكم بنا ، فهنالك هيئات مدنية مختصة في كافة المجالات الخدمية، إلا أن تدخل العسكريين وباستمرار في كل المجالات يعيق العمل المدني الحقيقي الجيد ، ومازالت بعض المحسوبيات تسير الأعمال بما يخدم مصالح المتنفذين من القائمين على الأعمال المدنية فحتى على مستوى الإغاثة نرى أن أقارب المسؤول الإغاثي هم من يحصلون على حصة الأسد ، وغير ذلك من فساد في مختلف المجالات، نحن تمردنا على نظام بشار الأسد الإجرامي لنكون أحراراً لا لأن نغير سادتنا ، لن نكون عبيداً بعد اليوم وسنحارب كل من يحاول جعلنا كذلك.

سوريا... لعبة الخطوط الحمراء

حسام الميلاد

في 30 كانون الثاني، قصف الطيران الإسرائيلي موقعاً لصواريخ أرض جو ومجمعاً عسكرياً مجاوراً، اعتقدت حينها الـ "نيويورك تايمز" أن الغارة ألحقت أضراراً بأكبر مركز أبحاث سوري حول الأسلحة البيولوجية والكيميائية. قبلها بعدة شهور بدأت التصريحات الصحفية ووسائل الإعلام تسلط الضوء على البرنامج الكيماوي السوري. وأشارت التصريحات إلى أن لدى سوريا مئات الأطنان من العناصر الكيماوية المختلفة (غاز السارين، في اكس، الخردل... وغيرها) وعن نجاح السوريين في التحكم وتوليف الأجسام الفوسفورية.

بدأ البرنامج الكيماوي السوري في السبعينات من القرن الماضي بمساعدة مصرية، ثم بدعم من الاتحاد السوفييتي السابق، وفي التسعينات، لقي دعم الروس. واعتبارا من العام 2005 بدأ الدعم الايراني للبرنامج الكيماوي السوري وكانت الغاية المعلن عنها لهذا البرنامج الردع الاستراتيجي في مواجهة البرنامج النووي الاسرائيلي. والمعروف أن سوريا لم توقع على معاهدة حظر الأسلحة الكيماوية وليست عضواً في المنظمة المكلفة بتطبيق هذه المعاهدة.

نفى النظام السوري مراراً أي نية له باستخدام هذا السلاح في الداخل، وأن ذلك لا يتناسب مع "أخلاقيات" النظام ولا مع "المنظومة الوطنية السورية" التي يعد النظام ركيزتها. وأكد أن هذه الاسلحة في مأمن. الولايات المتحدة الأميركية كانت قد حذرت من أي استخدام للأسلحة الكيماوية في سوريا واعتبرت ذلك خطاً أحمراً. لكن تقارير عدة أشارت إلى استخدام السلاح الكيماوي أكثر من مرة في مناطق مختلفة، مما عنى تجاوزاً للخط الاحمر الذي رسمته الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين. ولم يجلب ذلك أي تدخل عسكري غربي أو أمريكي في سوريا كما أستُوحي من التصريحات الأميركية حول الخط الأحمر. بل حتى الوعود الأميركية والغربية بتسليح المعارضة قد توارت حول الخشية من وقوع تلك الأسلحة والأسلحة الكيماوية في يد المتطرفين. أما الروس فقد اكتفوا بنفي استخدام الأسلحة الكيماوية في سوريا تارة، أو بتحميل المعارضة المسلحة والمتطرفين مسؤولية استخدامها تارة أخرى، وفي أحسن الاحوال دعت إلى التحقيق الدولي قبل رمي الاتهامات. ومبكرا تراجعت تلك الوعود الروسية بتغير الموقف الروسي من النظام في حال استخدامه للأسلحة الكيماوية.

مئات القتلى والمصابين في هجمات كيماوية بغاز السارين في ما عرف بـ "مجزرة الغوطتين". غالبية القتلى من الأطفال. والمهزلة كانت توقيت تلك الضربات الذي تزامن مع وجود محققي الامم المتحدة الذين توجهوا إلى سوريا لتقصي حقيقة استخدام الاسلحة الكيماوية في وقت سابق وتحديد المسؤول عن استخدامها. لا جديد في التصريحات حول المجزرة من قبل جميع الأطراف اللهم إلا اللهجة ومفردات التصريح، فالنظام ينفي ويكذب، المعارضة تدين وترفض الحوار مع المجرمين وتدعو إلى تحقيق سريع، الأميركيون يصفون الأمر بالخطير في حال تأكيده والروس يدعون الى التحقق مما حدث.

قد لا تختلف الارقام هنا كثيراً عن أرقام المجازر الأخرى التي ارتكبت في سوريا، وأمام الموت الجماعي لا يهم ما هي الأداة. في تلبيسة، الحولة، تريمسة، داريا، البيضة، وغيرها....، القضية ليست قضية الكيماوي بحد ذاتها، بل هي موت جماعي لشعب بأكمله والسكوت عنه. النزوح والجوع أدوات للموت لا تقل خطورة عن الكيماوي.أو كما يقال: "تعددت الأسباب والموت واحد". لكن يبدو أن رسم التراجيديا السوداء وتبريرها متساوقان في اللاوعي، بمعنى أن تضخيم تراجيديا الموت يتطلب تضخيم الأداة. الكيماوي لم يكن ولم يجب أن يكون هو الخط الاحمر بالنسبة للأطراف الدولية بل كان لابد للشعب السوري أن يكون هو الخط الأحمر، وهو ما لم يحدث. فأميركا الأوباماوية مترددة ومنسحبة باتجاه اقصى الشرق لمنافسة المد الصيني، هاجسها محاصرة التطرف داخل الحدود السورية حالمة بنموذج الاسلام التركي في مصر عبر دعمها للإخوان المسلمين. روسيا البوتينية مستفيدة من التردد الأميركي ومن الأزمة السورية بكل أبعادها، فقد جلبت هذه الازمة و"بشار الأسد" العالم اليها وفق تصريحات بوتين نفسه. يتفق الطرفان على قاسم مشترك واحد هو احتواء الازمة داخل حدود سوريا. العالم المتحضر وغير المتحضر اختار المصالح على الاخلاقيات وهذه المرة بصفاقة ودون أي مواربة، والثمن ما يزيد على المائة ألف قتيل سوري وبلد يحرق ويدمر. و الأنكى من ذلك هو صمت الشوارع العربية والدولية في كل مكان. الشعب السوري يعاني من حالة انكار. الشعب السوري كخط أحمر تم تجاوزه عبر إنكاره والتعامل مع سوريا على أنها نظام دون شعب.

بات واضحاً للقاصي والداني باستثناء بعض أطياف المعارضة ربما، أن هدف الغرب ليس إسقاط النظام في سوريا، ليست مشكلة الغرب بقاء النظام السوري بل كيفية إدارة هذا النظام لملفات المنطقة وإلا فليبق محاصراً في الداخل. حتى لو كانت لعبة الإلهاء هي الشعب السوري. لقد باتت الخطوط الحمراء واضحة لدى العديد من الأطراف الدولية، حدود سوريا هي الخطوط الحمراء. يسمح بكل شيء في الداخل السوري لكن حذار من تخطي الحدود الجغرافية والسياسية. مصالحنا ومدننا ومواطنونا امنون فلتجتمع كل الشياطين في سوريا.

أعتقد أن وهم استدراج تدخل دولي عسكري لإنقاذ الشعب السوري من الموت اليومي قد سقط. وفي السياسة لا مكان لانتظار المعجزات، وعلى المعارضة أن تخلع عنها وهم الاستقواء بالآخر لتعتمد على مقدراتها الذاتية بالدرجة الاولى. وأن ترسم بنفسها لنفسها خطوطا حمراء ربما كان أهمها:

الارادة الشعبية السورية في الحرية وبناء الدولة المدنية الديمقراطية

حق السوري في الحياة والحفاظ على الموارد الوطنية والممتلكات وعدم الاستهتار بالموارد البشرية

رفض التطرف وممارسات المحاكم الشرعية وأن تكون سوريا لجميع السوريين بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية والطائفية.

رفض الممارسات القمعية واللاأخلاقية الي تصدر عن بعض الفصائل المسلحة، جماعات وأفرادا، ومحاسبة المسئولين عنها بما فيها عمليات النهب والخطف والاغتيال. والتمسك بالقيم الأخلاقية في مواجهة لا أخلاقية النظام والتزام المعايير الحقوقية والقانونية والمتعلقة بحقوق الانسان.

استقلالية المعارضة السورية وعدم التبعية ورفض أي دعم مشروط من اي طرف إقليمي او دولي.

تحويل اهداف الثورة إلى وسائل. أي تحويل الديمقراطية وحق التعبير وحرية الرأي والمعتقد إلى مناخ عام في ممارسات المعارضة في سعيها لبناء سوريا الجديدة.

توحيد أطياف المعارضة السورية على أرضية القواسم المشتركة ومن ثم البدء بحوار وطني نشط على مستوى القاعدة والقيادة بغية رسم استراتيجية موحدة.

في سوريا تواطؤ روسي غربي اميركي على جعل سوريا مصيدة للتطرف والعنف بعيدا عن أراضيها، والثمن هو أطفال سوريا وتحويل سوريا من وطن الى مجرد مكان. الأمان للديمقراطيات الغربية والموت لأطفال سوريا، استثمار مشترك يلقى اقبالا واسعاً، أما الأخلاقيات فمهزومة أمام ممارسة العهر السياسي.

فشل التنظيم السياسي الكردي في حماية الشعب

جان كورد :

إنما الأعمال بالنتائج، وها هي نتائج سياسات الحركة الوطنية الكردية بمختلف فصائلها، اليسارية والديموقراطية والليبرالية، الثورية والانبطاحية، الداخلية والخارجية، الموالية للنظام والخارجة عليه، تبدو أمام عيوننا كسبب مقنع لأن يقدم السادة القابعون في الصفوف المتقدمة والمقاعد العلوية لأحزابهم استقالاتهم، فرادى او جماعات. وبالفعل لو سقط قادة الأحزاب الأوروبية في مثل هذه المنحدرات الخطيرة وهم ممتطون سروج أحزابهم، لرماهم المواطنون بالبيض الفاسد والبندورة وأكياس الألوان الكريهة الرائحة، فهل هناك أشنع نتيجةً من اجتياز شعب بعشرات الألوف من أبنائه وبناته، عبر الحدود، بحثاً عن ملجأ آمن له، لأن من يمثله سياسياً ويعتز بتمثيله له قد فشل في حمايته من العدوان الذي يتعرض إليه من جهات عديدة، ومع ذلك لا يتحرك هذا "الممثل الشرعي!" خطوة جادة لتحرير نفسه من ركام الأخطاء التي كادت تخنقه بالتمام، ولا يجيد سوى التأوه والتحسر لسوء حظه كما يزعم، بل لا يندم على ما مارسه من سياسات أدت به وبشعبه إلى هذه النتيجة، وهي السبب في هذه النتيجة الأليمة.

وأقول إن التنظيم السياسي الكردي بهيكليته الحالية قد فشل في حماية الشعب بالتأكيد، على الرغم من محاولات البعض انكار هذا الفشل أو تبريره، فلو قامت الحركة السياسية في (غرب كوردستان) بواجبها على أتم وجه في "حماية الشعب"، لما عبر كل هذه الآلاف من المواطنين الكرد المعبر النهري "سي مالكا" بين الجزيرة وإقليم جنوب كوردستان، في منظر يذكرنا بالهجرة المليونية لشعبنا من جنوب كوردستان على أثر انتفاضته في عام 1991، وكلنا يعلم بأن المخاطر التي تعرض لها هذا الشعب تأتي من عاصمة إقليم (غرب كوردستان– القامشلي) التي يزعم البعض من الكرد أنها محررة من قوات النظام، والحقائق على الأرض تثبت عكس ذلك تماماً، بل إن تواجد النظام وقواته في هذه المدينة صارخ، ولكنه اتخذ شكلاً آخر من أشكال التمويه، فهو نظام كالحرباء كما نعلم عنه. حتى أنه يتخذ صوراً وأشكالاً من صور المعارضة المسلحة.

ومن جهة أخرى لو كانت الحركة السياسية الكردية بزعاماتها المختلفة المتخلفة على مستوى المسؤولية لما تمكنت المجموعات العنصرية المقنعة بقناع الدين من الاستفراد بحزبٍ كردي دون الأحزاب الأخرى. والهجوم على شعبنا بصفاقة عنصرية لامثيل لها، وكم من مرة قرأ هؤلاء الزعماء الكرد على مسامع أتباعهم وأولادهم وحلفائهم قصة "الثور الأبيض" بل كم من مرة قالوا بأنفسهم بأن الشعب الكردي بحاجة ماسة إلى من يحميه في هذه الأوضاع الخطيرة، وفشلوا في الأداء والتخطيط بل وفي التفكير، فجاءت النتيجة وخيمة لهم ولشعبهم على حدٍ سواء، بل للمعارضة الوطنية السورية أيضاً.

فشل زعماء الحركة في منع المواطنين من ترك موطنهم وإخلاء مدنهم وقراهم لأنهم لم يتمتعوا بالثقة التامة من شعبهم، فلو كانت لدى الشعب ثقة في أن هذه القيادات، الثائرة والحائرة على حدٍ سواء، قادرة على تجنيبه المخاطر الكبيرة، لمكث في أرضه التي لن يتوانى عن تقديم الضحايا بسخاء في سبيلها، ولكن فقدان الثقة بين الشعب وقياداته، الصالحة والطالحة، حولت (غرب كوردستان) إلى فلسطين جديدة في الشرق الأوسط، فلسطين عام 1948 بالرغم من الفارق الزمني الكبير والاختلاف الجيوسياسي بين المنطقتين.

كما فشل التنظيم السياسي ل(غرب كوردستان) في نجدة شعبه ومد يد العون له في مخيمات اللجوء على أرض جنوب كوردستان، ولولا دعم ومساندة إخوتهم وأخواتهم في الإقليم لكانت المصيبة أعظم، لأن المجتمع الدولي لا ينصف الكورد حتى في قعر الهزائم وشديد النكبات وأيام الجوع والعطش التي لا تطاق. فالحركة السياسية ل(غرب كوردستان) ليست لها منظمات إغاثة قادرة على مواجهة هكذا أوضاع، بل ليس في برامج أحزابها خطط لإقامة مؤسسات مختلفة من أجل حماية وعون الشعب أثناء المحن والشدائد.

فلا حماية حقيقية لشعبنا من قبل هذه الأحزاب ذات الخطابات العنيفة والجمل الرنانة والممارسات الطرزانية في مسرح العرائس والاستعراضات الخلبية بالرايات وصور الزعماء، ولا مقدرة في تقديم أدنى أشكال المساعدة الإنسانية للاجئين، ولا القدرة على اقامة علاقاتٍ مفيدة على الصعيد الدولي، بل بينها وبين فصائل المعارضة الوطنية السورية جفاء ممتد المسافات كالبيداء. وللحقيقة فإن محطة تلفزيونية كوردستانية قد قدمت بجهودها الرائعة لموطنيهم أكثر منهم بمئات المرات.

الاستقالات في حركتنا المباركة لم تحصل، ومحاولات التوحد لم تثمر، والنزاعات لم تتوقف، رغم أن القضية الكردية "السورية!" تحولت إلى مأساة فلسطينية أخرى، والشباب في قلق وحيرة، ولا يزال بعضنا غارقاً في مدح "قادة!" الحركة وقرع طبولٍ كبيرة فارغة لأمجادهم.

البحث عن «الأحبة» بين وجوه المقابر الجماعي

رزان زيتونة

أحاول استرجاع تفاصيل ذلك اليوم ببطء شديد علّي أنفجر بالصراخ والنواح كما يفترض بشخص "طبيعي" أن يفعل. يرعبني الخدر الذي أحسه في صدري والضباب الذي يلف الصور المتلاحقة في ذهني. ليس هكذا تكون ردة الفعل بعد نهار حافل بالتعثر بالأجساد التي صفت إلى جانب بعضها البعض في الردهات الطويلة المعتمة. لفت بالأكفان البيضاء أو البطانيات القديمة، لا يظهر منها إلا وجوه مزرقّة ورغوة جمدت على زوايا الأفواه، وأحياناً خيط من الدماء يختلط بالزبد. على الجبين أو على الكفن، كتب رقم، أو اسم، أو كلمة "مجهول".

في كل نقطة طبية على امتداد بلدات الغوطة التي استقبلت الشهداء والمصابين، الحكايات نفسها تتكرر والصور نفسها. وجوه من بقي صامداً من المسعفين الذين لم ينج معظمهم من التأثر بالغازات السامة. يروون مرة تلو الأخرى، كيف قاموا بخلع الأبواب ودخول المنازل ليجدوا الأطفال نائمين في أسرّتهم بهدوء وسكينة لن يستيقظوا منها أبداً. معظم الأطفال ماتوا وهم يحلمون. قليل منهم وصل للنقاط الطبية وتمكنوا من إسعافه. الرحيل الجماعي للعائلات هو الصورة الأكثر إلحاحاً. الأم والأب وأطفالهما. نقلوا من أسرّتهم إلى قبور جماعية ضمت رفاتهم.

في إحدى مقابر زملكا، كان الأب يقف على قبر طويل يبدو بلا نهاية. هنا دفنت زوجته وطفله. وإلى جانبهما عائلة فلان، وعائلة فلان. وفكرت، إن كان بينه وبين نفسه يحسد العائلات التي ذهبت بجميع أفرادها إلى تلك القبور الضيقة ولم تترك وراءها من يعيش ألم الفقد.

ولا تزال أصوات الاشتباكات قريبة جداً وعلى أشُدّها. ولا أحد من الحاضرين يكترث، وهم منهمكون في الحفر وإهالة التراب على الأحبة. مشرف الدفن يشرح كيف تتلاصق الجثامين التي بلغ تعدادها 140 في هذه المقبرة الصغيرة.

صوّر صوّر، يقول. هنا آل فلان، ويقوم بتعداد أسماء أفراد العائلة، وهنا آل فلان.. ونحن ننظر وكأننا يجب أن نرى العائلة ونلقي التحية على الوالدين ونداعب الأطفال، لكننا لا نرى إلا تراباً غير مستوٍ وبضعة أغصان جافة من نبات الآس رميت فوقه كيفما اتّفق.

في ردهات تجميع الجثامين في كل بلدة، تجمع الأهالي للبحث عن أبنائهم. تدخل سيدة مسنة وهي تتوسل للموجودين أن يرشدوها إلى جثمان أبنائها واخوتها إن كانوا قد استشهدوا. يساعدها الشبان في رفع الغطاء عن وجوه صف الشهداء المجهولين الذين ينتظرون من يتعرف إليهم. شهيداً تلو الآخر تمر عليهم. تشهق لدى رؤية أحدهم، ثم تتمالك نفسها وتقول ليس هو. تنتهي من البحث، وتنطق بالحمد بصوتها المتهدج لأن احتمالات موت أحبتها قلت بمعدل نقطة طبية واحدة.

في الأغلبية العظمى من الحالات، تفرق أفراد العائلة بين النقاط الطبية على امتداد الغوطة. ومن شفي منهم واستعاد قواه، بدأ رحلة البحث عن عائلته من بلدة إلى بلدة. كان الجميع غاضبين، بالكاد يتمالكون أنفسهم قبل أن ينهاروا بالبكاء. كلما فشلوا في العثور على أحبتهم في الردهات بين المصابين والشهداء، أو في قوائم الأسماء التي تمكن الإداريون من تسجيلها.

حال المصابين ليس بأفضل كثيرا، خاصة الأطفال. بمجرد التوجه بكلمة للطفل يقلب شفتيه الصغيرتين ويحاول كبت صوت بكائه وكأننا سنعاقبه إن جاهر بقهره ولعن العالم بمن فيه. يبدأ بالسؤال عن والديه ولا أحد يملك الجواب. لا أحد يقوى على الجواب.

لا تزال أصوات الاشتباكات قريبة جداً وعلى أشُدّها ولا أحد من الحاضرين يكترث

لا أحد أصلا يستوعب كل مايحصل فعلا. هذه بلاد العجائب والصدف التي لا يفترض أن تحصل بشكل متواتر وتنقل إلى اعتياد. إلى جانب إحدى النقاط الطبية وقف شخص وهو يبكي ويلوح بيديه. قال أنه أنقذ ثلاث سيدات إلى المشفى، في الطريق وبسبب الاستعجال والارتباك دهس شخصا فقتله، وعندما وصل إلى المشفى ركن شاحنته الصغيرة أمامها بانتظار أن يبت بأمره بخصوص الشخص الذي دهس، وبعد دقائق غارت طائرة الميغ واختارت تلك النقطة بالذات التي تقف فيها الشاحنة فأحالتها ركاما! من يمكن أن تحصل معه أحداث مماثلة خلال ساعات قليلة من حياته ويبقى على إيمانه بأن الدنيا ليست على أبواب القيامة؟!

من لايزال يحتفظ بشيء من القوة والتماسك، ينفجر في موجة غضب تجاه نفسه والآخرين. لأن أحدا لا يقوى على التخيل أن المئات من الشهداء كان بالإمكان إنقاذهم، لو توفر المزيد من الدواء، لو أن "الجهات المانحة" لم تتمنع عن المساعدة في تجهيز نقاط طبية خاصة بمصابي الكيماوي. حتى الأطباء غاضبون من أنفسهم، من اضطرارهم للاختيار بين مصاب وآخر حسب قرعة الحياة والموت في سوريا الثورة. كتب الطبيب ماجد على الفيسبوك: "بكيت وبكيت اليوم وانا استقبل تبرعات الأجواد والكرماء الذين لم يقتنعوا ان المشروع الذي قدمناه منذ اربع أشهر لتجهيز نقطة للتعامل مع إصابات الكيماوي هو ضرورة واليوم اقتنعوا بعد مئات الشهداء .. بكيت وانا أوقع على موافقات بقبض هذه المبالغ التي دفعنا ثمناً لقبضها صور الشهداء"..

المشكلة ليست هنا فقط، بل في قناعتنا واعتيادنا على أن كل شيء أصبح ممكنا، وأن السبيل الوحيد لمواجهته ولو نسبيا، هو في الاستعداد له، الاستعداد للقصف، الاستعداد للجوع، الاستعداد للكيماوي! هذا أقصى مايمكن أن نفعله.

يعني أن تصبح المحادثة التالية مع أطفالنا قبل النوم من بديهيات حياتنا. ابني اغسل اسنانك واذهب إلى سريرك فقد تأخر الوقت. ولا تشرب الكثير من الماء قبل النوم! وإذا سمعت هدير الطائرة انزل إلى القبو، وإذا شممت رائحة غير طبيعية اصعد إلى السطح، وإذا لم تجد الوقت كيف تفعل أي شيء، فاعلم أني أحبك كثيرا، لكن ليس باليد حيلة. العالم قذر ومتوحش. ستفهم يوما حين تكبر، إذا أتيح لك أن تكبر! تصبح على وطن يا بني.